

الكشاف

كانوا لتعننتهم يقولون : هلا نزل القرآن بلغة العجم فليل : لو كان كما يقترحون لم يتركوا الاعتراض والتعننت وقالوا : " لولا فصلت آياته " أي بينت ولخصت بلسان نطقه " أعجمي وعربي " الهمزة همزة الإنكار يعني : لأنكروا وقالوا : أقرآن أعجمي ورسول عربي أو مرسل إليه عربي وقرئ أعجمي والأعجمي : الذي لا يفصح ولا يفهم كلامه من أي جنس كان والأعجمي : منسوب إلى أمة العجم . وفي قراءة الحسن أعجمي بغير همزة الاستفهام على الإخبار بأن القرآن أعجمي والمرسل أو المرسل إليه عربي . والمعنى : أن آيات القرآن على أي طريقة جاءتهم وجدوا فيها متعنتا لأن القوم غير طالبين للحق وإنما يتبعون أهواءهم . ويجوز في قراءة الحسن : هلا فصلت آياته تفصيلا فجعل بعضها بيانا للعجم وبعضها بيانا للعرب . فإن قلت : كيف يصح أن يراد بالعربي المرسل إليهم وهم أمة العرب ؟ قلت : هو على ما يجب أن يقع في إنكار المنكر لو رأى كتابا أعجميا كتب إلى قوم من العرب يقول : كتاب أعجمي ومكتوب إليه عربي وذلك لأن مبنى الإنكار على تنافر حالي الكتاب والمكتوب إليه لا على أن المكتوب إليه واحد أو جماعة فوجب أن يجرى لما سيق إليه من الغرض ولا يوصل به ما يخل غرضا آخر . ألا تراك تقول وقد رأيت لباسا طويلا على امرأة قصيرة : اللباس طويل واللباس قصير . ولو قلت : واللباس قصيرة جئت بما هو لكثرة وفضول قول لأن الكلام لم يقع بني ذكورة اللباس وأنوثته إنما وقع في غرض وراءهما " هو " أي القرآن " هدى وشفاء " إرشاد إلى الحق وشفاء " لما في الصدور " من الظن والشك . فإن قلت : " والذين لا يؤمنون في آذانهم وقرا " منقطع عن ذكر القرآن فما وجه اتصاله به . قلت : لا يخلو إما أن يكون الذين لا يؤمنون في موضع الجر معطوفا على قوله تعالى : للذين آمنوا على معنى قولك : هو للذين آمنوا هدى وشفاء وهو للذين لا يؤمنون في آذانهم وقرء إلا أن فيه عطفًا على عاملين وإن كان الأخصر يجيزه . وإما أن يكون مرفوعا على تقدير : والذين لا يؤمنون هو في آذانهم وقرء على حذف المبتدأ . أو في آذانهم منه وقرء وهو عليهم عمى . وقرئ وهو عليهم عم وعمى كقوله تعالى : " فعميت عليكم " هود : 28 ، " ينادون من مكان بعيد " يعني : أنهم لا يقبلونه ولا يرعونه أسماعهم فمثلهم في ذلك مثل من يصيح به من مسافة شاطئة لا يسمع عن مثلها الصوت فلا يسمع النداء . " ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه لولا كلمة سبقت من ربك لقضى بينهم وإنهم في شك منه مريب " .

" فاختلف فيه " فقال بعضهم : هو حق وقال بعضهم : هو باطل . والكلمة السابقة : هي العدة بالقيامة وأن الخصومات تفصل في ذلك اليوم ولولا ذلك لقضى بينهم في الدنيا . قال

ا □ تعالى : " بل الساعة موعدهم " القمر : 46 ، ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى .
" من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد " .
" فلنفسه " فنفسه نفع " فعليها " فنفسه ضر " وما ربك بظلام " فيعذب غير المسيء .
" إليه يرد علم الساعة وما تخرج من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى ولا تضع إلا
بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذناك ما منا من شهيد وضل عنهم ما كانوا يدعون من
قبل وطنوا ما لهم من محيص "